نوحي اليه في الانبيا على ما سيأتي ان شا الله تعالى والجملة
صفة لرجالا ومن اهل القرى صفة ثانية وكان تقديمه هذه
الصفة على ما قبلها اكثر استعمالا لانها اقرب الى المفرد
وقد تقدم تحريره في المايدة وقوله ولدار الاخرة وما
بعده قد تقدم في الانعام قوله تعالى حتى ليس في الكلام
شي تكون حتى غاية له ثم اختلف الناس في تقدير شي
يصح تعليقه بحتى فقدره الزمخشري وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا فترا حتى نصرهم حتى وقدره القرطبي وما ارسلنا
من قبلك يا محمد الا رجالا لم نعاقب امتهم بالعقاب حتى
اذا وقدره ابن الجوزي وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فدعوا
قومهم فكذبوهم وطال دعاوهم وتكذيب قومهم حتى اذا
واحسنها ما قدمته ويصد ابن عطية شيا من معنى قوله
افلم يسيروا فقال وينتمن قوله افلم يسيروا الى من قبلهم
لئن الرسل الذين بعثهم الله من اهل القرى دعوهم فلم يؤمنوا
بهم حتى تركت بهم المثلات فصبروا واحتسبوا من يعتبر بعاقبته
فلهذا المعنى حسن ان يدخل حتى في قوله حتى اذا قال
الشيخ ولم تلخص لنا من كلامه متى تكون ما بعد حتى غاية له
لانه علق الغاية بما ادعى انه فهم ذلك من قوله افلم يسيروا
الاية قلت قوله دعوهم فلم يؤمنوا هو المعنى قوله تعالى
كذبوا قرا الكوفيون كذبوا بالتخفيف والباقون بالتثقيل
فاما قراءة التخفيف فاضطربت اقوال الناس فيها وروي
انكارها عن عايشة رضي الله عنها قالت معاذ الله لم يكن
الرسل لتظن ذلك بربها وهذا ينبغي ان لا يصح عنها لتواتر

هذه القراءة وقد وجهها الناس باربعة اوجه اجودها
ان الضمير في وظنوا عايد على المرسل اليهم لتقدمهم في قوله
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولان الرسل يستدعى مرسلا
اليه والضمير ان في انهم وكذبوا عايد على الرسل اي وظن
المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي كذبهم من ارسلوا
اليه بالوحي وبنصرهم عليهم الثاني ان الضماير الثلاثة
عايدة على الرسل قال الزمخشري بتقدير هذا الوجه
حتى اذا استياسوا من النصر وظنوا انهم قد كذبوا اي
كذبتهم انفسهم حين حدثتهم انهم ينصرون او رجاؤهم لقومهم
رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعناد
من الكفار واستمرار الضر من الله وتاميله قد تطاولت
عليهم وعمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا
نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا انتهى فقد جعل الفاعل
المقدر انما انفسهم وامال رجاؤهم وجعل الظن بمعنى التوهم
فاخرجه عن معناه الاصلي وهو يرجح احد الطرفين وعن
مجازه وهو استعماله في المتيقن الثالث ان الضماير كلها
ايضا عايدة على الرسل والظن على بابه من الترجيح والى
هذا ذهب ابن عباس وابن مسعود وابن جبير قالوا والرسل
بشر فضعفوا وساء ظنهم وهذا ينبغي ان لا يصح عن هؤلا
فانها عبارة غليظة على الانبيا وحاش الانبيا من ذلك
ولذلك ردت عايشة وجماعة كثيرة هذا التاويل واعظموا
ان تنسب الانبيا الى شي من ذلك قال الزمخشري ان
صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما لحظ بالبال